الفصل الرابع
إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية !!

● والداعية الإسلامى النابه الدكتور محمد سيد أحمد المسير مثل سائر الدعاة المخلصين يعيش هموم أمته من المحيط إلى المحيط وهو مسكون بشجون الدعوة وأحوال المسلمين فى معاشهم ومعادهم لا يفتأ يستشرف الأخطار المحدقة محذراً من مغبتها وآثارها على الأوطان الإسلامية ورسالة التوحيد، وفى مقدمة تلكم الأخطار التى تنذر بأوخم العواقب على حاضر الأمة ومستقبلها والمسئولة بشكل مباشر عن معاناة المسلمين الحاضرة ومآسيهم الحالية حالة التشرذم والتفرق القائمة الآن والتى يسرت على الذئب أن (يأكل من الغنم القاصية) برغم تحذير القرآن الكريم والسنة النبوية من الفُرقة والاختلاف، الأمر الذى يترتب عليه ضعف المسلمين وعجزهم وتخلفهم وطمع الأعداء فى خيراتهم واستعبادهم وتمزيق بلادهم وانتهاك أعراضهم ونهب خيراتهم وحصارهم وإذلالهم كما هو حاصل بالفعل الآن ليس فى شرق بلاد المسلمين وغربها وأطرافها فحسب بل وفى القلب أو ما يعرف فى الجغرافية السياسية بدول القلب كما هو حاصل فى فلسطين بالاحتلال الاستيطانى الصليبى فى ثياب صهيونية والأخطار الواقعة بالفعل فى العراق وليبيا والجزائر والصومال وتلك التى تتهدد مصر وسوريا والسودان ولا نقول البوسنة والبلقان وكوسوفا وكشمير ومسلمى الهند وباكستان ،وأفغانستان ومسلمى بورما والفلبين وتركيا والشيشان ودول آسيا الوسطى بل وإفريقيا الوسطى والغربية.

– وما كان ذلك ليحدث لو أمعن المسلمون فى آية واحدة من كتاب الله تعالى وحفظوها وتعلموها وعملوا بها وهى قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

فأصبحتُم بنعمته إخوانا وكُنتُم علىٰ شفا حُفْرةٍ مِن النَار فأنقذَكُم مِنْها كذلك يُبين اللَّهُ لكُمْ آيَاته لعلَّكُمْ تهْتدُون ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

● وما أشبه الليلة بالبارحة، أجل فالمسلمون الآن على شفا حفرة من نار الأعداء المتربصين بالأمة الدوائر إلا أن يتغمدنا الله برحمته ويهيئ لهذه الأمة أمر رشد يجمع شملها ويوحد صفوفها ويفسد مخططات الأعداء فيها ويقيم التضامن فيها ويجمع بها أسباب القوة الكامنة فيها بشرًا وأرضًا وسماءً ومياهًا وطاقاتٍ هائلةٍ وإراداتٍ جبارةً وروحًا فدائية تفتدى أرض الأمة ومقدساتها وخيراتها وأعراضها بالغالى والنفيس تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمنين رجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْه فَمنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ومَنْهُم مَّن يَنتظرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْديلاً ﴾** [الأحزاب : ٢٣]

● وفى هذا الإطار يأتى كتاب شيخنا الدكتور محمد سيد أحمد المسير (الحوار بين الجماعات الإسلامية) داعيًا إلى تجاوز الخلافات بين جماعات المسلمين فى فروع الدين والاعتصام بأصول الدين وجوهره والتماس الأعذار للآخرين فى التباين والاختلاف فى الفروع حرصًا على وحدة الأمة وخلاصها، ومن ثم يطلق دعوته للحوار وتجاوز الخلافات التاريخية سياسيةً كانتْ أو عقيديةً أو فلسفية للاجتماع على الحد الأدنى من الأصول ونقاط الوفاق والالتقاء التى نكون بها مسلمين ويعذر بعضنا الآخر فيما دون ذلك، كما سبق ودعا إخوة له من الدعاة المبرزين من قبل.

– يقول فضيلته – لا فض فوه – «إن الفرق والجماعات الإسلامية، سواء كانت فرقا كلامية تجادل فى العقيدة، أو اتجاهات فلسفية تحاول التوفيق بين الوحى الإلهى والحكمة البشرية، ومذاهب فقهية تسعى إلى معرفة كلمة الله فى العبادات والمعاملات أو طرقًا صوفية تهتم بالأخلاق والسلوك والمجاهدة أو أحزابًا

سياسية تسعى إلى السلطة وإقامة العدل ... إن هذه الطرق كلها مدعوة إلى الحوار كوسيلة للتقارب وأسلوب للتفاهم وأداة للتلاقى »[١].

– ويمضى ملحًا على دعوته للحوار فيقول: « ولا شئ يمتنع فيه الحوار، ولا أحد يتأبَّى عليه . فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، والحكمة ضالة المؤمن والدينُ النصيحة، ونحن نعتقد أنَّ الاجتهاد فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة وأنَّ من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

وقد جاء هذا البحث ليحدد القضايا التى يدور حولها الاجتهاد، ومن ثم يدلى الفريقان برأيهم، ويسوقون أدلتهم، ينظروه فى فكر الآخرين بصفاء النية وحسن الوعي وإخلاص القلب لله »[٢].

– وقد بحث داعيتنا المبارك ذلك فى ثلاثة أبواب، تناول الأول منها الدعوة إلى ضرورة (*) الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى ومخاطر الأهواء، وفى الباب الثانى يعرض لضوابط الحوار ويتناوله فى فصلين الأول منهما عن الاجتهاد بين العقيدة والفقه والثانى فى أصول الإسلام، وفى الباب الثالث يعرض لقضايا الحوار فى التوحيد والصفات الإلهية والقضاء والقدر والتكليف الإنسانى والأمانة والخلافة ونظام الحكم ووعد الله ووعيده وحكم مرتكب الكبيرة وفقه العبادات والمعاملات الفكر الوافد والتجديد الدينى ويعرض لذلك كله بواضح البيان وناصع الحجة وليّن القول (وصادق الحب يملى صادق الكلم).

التحدى الصهيونى الإسرائيلى إلى زوال:

● ولا يفوتنا تقديم أنموذج لخواطره المنشورة فى صحيفة (اللواء الإسلامى) القاهرية فى شكل العمود الصحفى بما يعكس مهارة فائقة وقدرة مقتدرة على

---

(١) الحوار بين الجماعات الإسلامية ص ٣ – ٤ – دار الطباعة المحمدية – القاهرة ١٩٩٧ .

(٢) السابق ص ٤ .

(*) وإلى هذا دعا الأديب الإسلامى والإعلامى الدكتور عبد القادر طاش فى مقالته (أشواك فى طريق الحوار) المنشورة فى صحيفة الأهرام القاهرية فى الأشهر الأولى لسنه ١٩٩٩م فى صفحة (قضايا وآراء).

تركيز المعنى وتحديد الفكرة مع وجازة العبارة وعذوبة البيان، وصولاً للغاية من أقرب السبل وأقل الكلام، فيقول تحت عنوان (انتحار الإسرائيلين) : « نشرت بعض الصحف أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تسودها حالة من القلق نتيجة الزيادة المخيفة فى حوادث الانتحار ويرجعون ذلك إلى التمييز العنصرى بين الجنود وتفشى ظاهرة المخدرات.

وأقول إن الحقيقة الغائبة هنا هى أن الجنود الإسرائيليين شذاذ آفاق ليس لديهم عقيدة قتالية صحيحة فالذين قدموا من مشارق الأرض ومغاربها إلى فلسطين خدعوا بوعود توراتيَّة فاسدة وضحوا باستقرارهم فى أوطانهم من أجل سراب خادع.

– ويمضى فى خاطرته عن (انتحار الإسرائيليين) قائلاً : « إن إسرائيل الكبرى أو الصغرى لن يكتب لها الدوام ولن تستمر على أرض المسلمين ولن تقاوم سنة الله التى تتعقب اليهود أينما كانوا ذلة وهوانا وصغاراً، وإن خمسين عاما فى عمر التاريخ لا تساوى شيئا وقد أفسد – من قبلُ – الصليبيون فى بيت المقدس وأرض الشام وأقاموا دولاً عاشت أكثر مما عاشت إسرائيل الصغرى ثم أتاها أمر الله الذى لا يُرد عن القوم المجرمين فإذا هى أثر بعد عين وإن بقاء إسرائيل مرهون بحبل الناس وحماية الصليبية العالمية لها وهو حبل مقطوع لا يُغنى من قدر الله شيئا » (١).

– إذن كيف يرى داعيتنا الموهوب سبيل الخلاص وبشائر الأمل ؟ دعنا نواصل قراءة خاطرته؟ يقول : « كل ما نحرص عليه ونؤكده هو أن نُربي أجيالنا على وضوح الهدف ونبل الغاية وشرف الوسيلة فى إطار قيم الإسلام ومبادئه مع التخلى عن انهزامية الثقافة التى تسعى الدوائر الصهيونية لغرسها فى نفوسنا بما يسمى ثقافة السلام وهم أبعد الناس عن السلام وأقسى الناس قلوباً وأغلظهم أكباداً. إنهم ينادون بالرفق بالحيوان ويبقرون بطون نساء المسلمين ويمثلون بجثث الأطفال والشيوخ ويهلكون الحرث والنسل ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) جريدة اللواء الإسلامى – العدد (٨٩٠) – القاهرة فى (٢٥ / ١٠ / ١٤١٩ هـ / ١١ / ٢ / ١٩٩٩م).